ينقسم الناس على حسب نياتهم فى الإقبال على الصالحين إلى أقسام كثيرة منهم وهم فى المنزلة العالية من يريدوا أن يكونوا معهم ويمشوا على هديهم ويسيروا على منهاجهم وهؤلاء فى المرتبة العليا المقبلين على الصالحين لأن الله ﷻ اقتضت حكمته العلية أن لا يصل واصل إليه إلا بخبير قرآني يهذب نفسه ويرقى طبعه ويجمل قلبه ثم يأخذ بيده ويوقفه بين يديه ويقول: ها أنت وربك، فالله ﷻ لا تحده الإشارات ولا تحيط بكمالاته العبارات، لا يوصل إليه بالخطوات وليس بيننا وبينه مسافات او جهات وإنما هو أقرب إلينا من حبل الوريد، وكل ما بيننا وبينه هى حجب نفسانية أو غيوم قلبية أو آفات روحانية، تجعل السالك لا يستطيع ان يصل إلى المعبود ﷻ ﴿ {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ سورة المطففين، الحجاب يأتى مما كسبته الجوارح من عالم الأكوان من الذنوب والآثام والغفلة والمعاصى والبعد عن حضرة الله ﷻ، لذلك قال الإمام ابن عطاء الله السكندري ﷺ: كيف يرحل قلب إلى الله وصور الاكوان منطبعة فى مرآته أم كيف يصل إلى الله وهو مكبل (يعنى مقيد) بشهواته"

يجب أن تفك قيود الشهوات وتمحوا الصور والمناظر التى على دائرة الفؤاد والقلب حتى تلوح له أنوار حضرة المبدع ﷻ، والكيف لا يستطيع البيان التعبير عنه، وخلاصة ما قاله العارفون فى ذلك:

فكان ما كان مما لست أذكره | فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

فإن قلت كيف فإن الله لا يلحقه الكيف، وإن قلت أين فلن تصل إلى الله ﷻ إلا بعد محو الأين، فهو ﷻ كما قال الإمام على ﷺ وكرم الله وجهه: (لا تراه الأحداق ولكن تراه القلوب إذا صفت من الآثام والذنوب والعيوب) كيف تراه القلوب؟

بلا كيف ولا حد ولكن | بأنوار تعالت معنوية

حالات خاصة تريد خواص عباد الله الذين أوصلهم الله به إليهم وأوقفهم بعد فنائهم عن الأكوان بين يديه وقال لهم بلسان الحال: (هاكم جمالى فشاهدوه وهذا حسني فعاينوه وهذا كمالى فانظروه ثم خذوا بأيدي الطالبين وبينوا لهم الطريق الأمين الذي يوصل إلى هذا المقام الكريم الامين)

﴿ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ (٥٩) سورة الفرقان، لم يقل فاسأل عنه، لأن السؤال لا بد ان يكون لله بالله، ولذلك قال العارف: "عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي" فأنت فيك حسن من حضرته وجمال من بهاء طلعته وقد واجهك ﷻ بذلك فشاهدت وسمعت كلام الله وفهمت الخطاب وقمت بالرد بروحك وسرك على حضرة الله وسجل الله ﷻ فى قرآنه فقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (١٧٢) سورة الأعراف

لم يقولوا بلى سمعنا، لكن: شهدنا، فشهدنا جمال الله وتمتعنا بكمال وبهاء الله فى هذه الحضرة، الذي يقول فيها سيدي إبراهيم الدسوقى ﷺ:

على الدرة البيضاء كان اجتماعنا	وفى قاب قوسين اجتماع الأحبة

ويذكرنا بها الإمام أبو العزائم ﷺ فيقول:

من ألست قد شهدنا	من جمال الجميل إذ خاطبنا

لم تنسى الأرواح هذا الخطاب، سألوا الإمام على ﷺ: أتذكر يوم الميثاق؟ قال: نعم، وأعلم من كان فيه عن يميني ومن كان فيه عن يسارى.

وسألوا سيدنا الإمام سهل التسترى ﷺ: كيف تعرف مريدينك وأحبابك وتقول: هذا مكتوب عندي فى اللوح؟ قال: إنى أعلم احبائي ومريدي من يوم ﴿ ألست بربكم ﴾ وأربيهم وهم فى أصلاب آبائهم منذ ذلك اليوم.

الغاية العظمى من صحبة العارفين هى كشف الحجب ورفع الران حتى يتأهل المرء إلى مقام العيان، وهذا لا يستطيعه إنسان بمفرده، لا بد له من مرشد رباني معه الإذن من حبيب الله ومصطفاه.